جماعة عباد الرحمن

العبد

سلسلة العشرة المبشرين بالجنة

العدد ١٠

أمينُ هذه الأُمَّة

أبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

يوزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح

رضي الله تعالى عنه

إسمه ونسبه

هو عامر بن عبد الله بن الجرَّاح بن هلال بن أُهَيْب، ويُقال له: «وُهَيْب». اشتهر بكُنْيَتِه «أبي عُبَيْدَة»، ونِسْبَتُه إلى جدِّه فيُقال: «أبو عبيدة بن الجرَّاح».

أُمُّـه: أُمَيْمَة بنت غَنْم بن جابر، ويقال: أُمُّ غَنْم أُمَيْمَة بنت جابر القرشية الفِهْرِية. أدركت الإسلام، وأَسلَمَت، وشَهِدَت بَدْراً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ. وقُتِلَ أبوه يوم بدر كافراً.

أولادُه: يزيد، وعُمَيْرَة. توفِّي وَلَدا أبي عبيدة ، وليس له عَقِبٌ.

صفاته الخَلقية

كان رضي الله عنه رجلاً طويلاً ، نحيلاً ، خفيف اللحية.

إسلامه

أَسلَمَ أبو عبيدة بعد بدء الدعوة، وهو من أوائل المسلمين. وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم. وكان إسلامه مع عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد في ساعة واحدة.

مؤاخاته

لمَّا وصل رسول ﷺ إلى المدينة وأَجرى المُؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، آخى بين أبي عبيدة وسعد بن مُعَاذ، وقيل : وبين محمَّد بن مسلمة، وقيل : بين أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهم.

منزلته عند الصحابة رضي الله عنهم

كان لأبي عبيدة رضي الله عنه منزلة في قلوب المسلمين؛ فها هو أبو بكر رضي الله عنه حينما توفِّي رسول الله ﷺ واجتمع المسلمون في السَّقيفة يتداولون الوضع، ينهض أبو بكر رضي الله عنه ليقول للمسلمين : « رَضيتُ لكم أَحَدَ هذَيْن الرجُلَيْن : عُمَرَ بن الخطَّاب وأبا عُبَيْدَةَ بن الجراح ».

جهاده

كان لأبي عبيدة رضي الله عنه النَّصيبَ الوافر من الجهاد في سبيل الله تعالى، فهو من أوائل المسلمين الذين تحمَّلوا البَلاء والشَّدائد لإيمانهم بالله تعالى، فهاجر مع مَن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم هاجر فيما بعد إلى المدينة المنوَّرة.

- شَهِدَ بدراً ، وأُحُداً ، والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ.

ففي بَدْر، كان أبوه مع أهل مكَّة، فجعلَ يتصدَّى لابنه أبي عبيدة رضي الله عنه، فَيَحيدُ عنه. وقُتِلَ أبوه مُشركاً، فنَزَلَ فيه قولُ الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (١) ﴾[المجادلة: ٢٢].

(١) أي: لا تجد – أيها الرسول الكريم – قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر حقَّ الإيمان، يوالون ويحبون من حارب دين الله تعالى وأعرض عن هدى رسوله.

■ أمَّا في أُحُد، فقد كان مِن الذين ثَبَتُوا حول رسول الله ﷺ حين أَغارَ عليهم المشركون بعد أن نزل الرُّماة عن الجبل واخْتَلَّ جيشُ المسلمين.

وفي هذه الغزوة أُصيبَ رسول الله ﷺ، وكان مِن ذلك أن دَخَلَت حَلَقَتان منَ المِغْفَر[١] في وَجْنَتَيْه[٢]، فأَقبل أبو بكر يسعى لإسعاف رسول الله ﷺ. وإذا برجلٍ يكادُ يطير طَيَراناً، فإذا هو أبو عبيدة يَسبِقُ أبا بكر في الوصول إلى النبي ﷺ ويُناشدُه الله تعالى أن يَدعَهُ يَنْزِعُ الحلقَتَيْن بنفسه، ففعل أبو بكر. فتقدَّم أبو عبيدة ، فأَخذَ بثَنِيَّة إحدى الحلقَتَيْن ، فنَزَعَها، وسَقَطَ على الأرض وسقطت ثَنِيَّتُه[٣] معه، ثم أخذ الحَلَقَة الأُخرى بثَنِيَّتِه الأُخرى فَسَقَطَت، فكان أبو عبيدة في النَّاس أَهْتَم. وقيل ما رُؤِيَ هَتْمٌ [٤] قَطُّ أَحسن مِن هَتْمِ أبي عبيدة.

■ أرسله النبي ﷺ أميراً على سريَّة فيها ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً ، وليس لهم زادٌ إلا جِرابٌ فيه تمر، فكان نصيبُ الواحد منهم تمرةً في اليوم، حتى فَنِيَ التمر. فصاروا يأكلون الخَبْطَ وهو أوراق الشجر فسُمِّيَت سريَّتُهم : «ذاتُ الخَبْطِ».

■ بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص أميراً في غزوة «ذات السلاسل»، فبعث عمرو يطلب المَدَد. فنَدَبَ النبي ﷺ الناس من المهاجرين الأوَّلين وفيهم أبو بكر وعمر، أَمَّر عليهم أبا عبيدة. فلمَّا قَدِموا، قال عمرو: « أنا

(١) المِغْفَر: غطاء معدني للرأس.

(٢) الوَجنَة: ما ارتفع من الخد.

(٣) الثنايا: أسنان مقدم الفم، وهي اثنتان في الأعلى واثنتان في الأسفل.

(٤) الهَتْم: انكسار الثنايا من أصلها، والأهتم من كسرت ثناياه.

أَميرُكُم ». فقال المهاجرون: « أنتَ أميرُ أصحابِك، وأبو عُبيدة أميرُنا ». فقال أبو عبيدة، ـ وكان حَسَنَ الخُلُق، متَّبِعاً لأَمر رسول الله ﷺ ـ: « تَعلَم يا عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لي: « إن قَدِمْتَ على صاحِبِكَ فتَطاوعا ». وإنَّك إن عصيتَني لأُطيعَنَّك »، فسلَّم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص.

لمَّا تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة كان خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين في الشام، فعَزَلَه عمر وعَيَّن بدلاً منه أبا عبيدة بن الجرَّاح. ولمَّا وصل كتابُ التَّعيين إلى أبي عبيدة ـ وكانت المعركة دائرةً ـ أَخْفَى أبو عبيدة الكتاب حتى انتهت المعركة، وكان فيها النَّصرُ المُبين. ثم تقدَّم إلى خالد يَعرِضُ عليه بأَدَبٍ كتابَ أمير المؤمنين، فَيَعْجَبُ خالد مِن تأَخُّره في إبلاغِه الخَبَر، فيقول له: « لا أُريدُ أَن أَكسِرَ عليكَ حَرْبَكَ، وما الدُّنيا نُريد، ولا لأَجْلِهَا نَعْمَل ».

ونستنتج من هذا الموقف المثالي لأبي عبيدة رضي الله عنه فائدتين:

الأولى: أنَّ أبا عبيدة رضي الله عنه كان حكيماً في اختيار اللحظة المناسبة لتسلُّم القيادة لما يَستَلْزِمُه هذا من التَّعرُّف على ظروف المعركة وإعداد الخُطَّة؛ وذلك كلُّه يحتاج إلى وقتٍ وأَناةٍ لم يتيسَّرا أثناء القتال.

الثانية: أنَّ أبا عبيدة رضي الله عنه لم يكن طامعاً في الإمارة؛ إذ لم يكن المَنْصِبُ يعني له جاهاً وتعظيماً، وإنَّما مزيداً من التَّبِعَات والأعمال، فكانت نيَّتُهُ إرضاءَ الله تعالى في جهاده أَميراً كان أو مأمورا.

وقد كان الجيش الذي استلم قيادته أَكثَر الجيوش الإسلاميَّة عَدَداً وعِتَاداً؛ فكان أبو عبيدة يسيرُ بين جنوده لا تَعرِفُه مِن بينهم. يخطبُ

فيهم فيقول: « يا أيُّها النَّاس، إني مسلمٌ مِن قريش، وما منكم مِن أَحَدٍ أَحْمَرَ ولا أَسوَدَ يَفْضُلُني بتَقْوَى إلا وَدِدْتُ أنِّي في إهَابِه[١]».

فتح الله تعالى على يديه : اليرموك ، والجَابِيَة ، وسَرْغ ، والرَّمَادة. ولاَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشام فبقي فيها إلى أن توفى.

■ معركة اليرموك:

بعد الإنتهاء من حروب الردَّة، جهَّز الصدِّيق رضي الله عنه الجيوش إلى الشام لفتحها؛ فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، وسيَّر يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح إلى حِمْص، وشرحبيل بن حسنة إلى غَوْرِ الأردن آمراً إيَّاهم أن يسلكوا طريق تبوك إلى الشام. وكان عدد كلِّ لواء من هذه الألوية ثلاثة آلاف.

وصل الأُمراء إلى بلاد الشام. فنزل أبو عبيدة الجابية على طريق دمشق، ونزل يزيد البلقاء مهدِّداً بُصْرى، ونزل شرحبيل أعلى غَوْرِ الأردن، وعمرو بن العاص نزل وادي عربة، وعكرمة بن أبي جهل لدعم الفِرَق.

علم الروم بزحف المسلمين ، فكتبوا إلى هرقل - وكان في القدس - فقال : « أرى أن تُصَالِحوا المسلمين، فَوَالله لأَن تُصالحوهم على نِصْفِ ما يحصل من الشام ويبقى لكم نِصْفَهُ مع بلاد الروم أَحبَّ إليكم مِن أن يغلبوكم على الشام ونِصْفِ بلاد الروم ». فلم يُعجبهم رَأْيَه. فجَمَعَهُم هرقل وسار بهم إلى حمص، فنزل بها، وأعدَّ الجنود.

وأراد هرقل أن يقاتل المسلمين متفرِّقين، فبعث أخاه تَذارِق في تسعين

(١) الإهاب: الجلد.ما لم يدبغ.

ألفاً إلى عمرو، وجرجة بن توذرا إلى يزيد بن أبي سفيان، والدراقص إلى شرحبيل بن حسنة، وبعث القيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة.

وصلت جموع جيش المسلمين سبعاً وعشرين ألفاً، فتشاوروا برسائل مستعجلة. فاقترح عمرو بن العاص أن يجتمعوا ويقاتلوا الروم جيشاً واحداً، واقترح عليهم أن يلتقوا في اليرموك. وكانوا قد كتبوا إلى أبي بكر ﷺ يستفتونه، فأمر الصدِّيق ﷺ بأن يتَّحدوا ويقاتلوا جيشاً واحداً.

نزل الروم في اليرموك، ونزل المسلمون على طريقهم، ليس للروم طريقٌ إلا عليهم. فقال عمرو بن العاص: «أَبشِروا ، حُصِرت الروم، وقلَّما جاء مَحْصُورٌ بخير».

تكامل جَمْعُ المسلمين باليرموك، وكانوا سبعة وعشرين ألفاً، وقَدِمَ خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستَّة وثلاثين ألفاً، سوى عِكْرِمَة الذي كان ردءًا لهم، وكان فيهم ألف صحابي؛ منهم نحو مائة ممَّن شَهِدَ بدراً.

وكان الروم في مائتَيْ ألف وأربعين ألف مقاتل؛ منهم ثمانون ألف مقيَّد، وأربعون ألفاً مسلسل للقتال حتى الموت، وأربعون ألف مقاتل مربوطون بالعمائم لئلاَّ يفرُّوا، وثمانون ألف راجل. وكان القسِّيسون والرهبان يحرِّضون الروم شهراً، ثم خرجوا للقتال.

اقترح خالد بن الوليد أن يقاتل المسلمون جيشاً واحداً بإمرة قائدٍ واحد، وليس على أساس جيوش، كل جيشٍ بقائد. اقترح أن تكون القيادة مُداوَرَةً بين قادة الجيوش، كلَّ يومٍ لقائد. كما اقترح أن يعهد بالقيادة

إليه في اليوم الأول فوافق الجميع.

قاتل المسلمون قتال الأبطال، وصبروا، وثَبَتُوا، حتى أَتاهُم نَصْرُ الله تعالى، ولم يحتاجوا في القتال إلى أيامٍ أُخَر. وكان حصيلة القتلى ثلاثة آلاف شهيد من جيش المسلمين البالغ ستاً وثلاثين ألف بطل مُجَاهِد، مقابل مائة وعشرين ألف قتيل من مائتي وأربعين ألف محارب لله تعالى ولجُند الله عزَّ وجل.

■ من مشاهد اليرموك:

تسلَّم أبو عبيدة رضي الله عنه قيادة الجيش في نهاية اليوم الأول من معركة اليرموك، وكان المسلمون قد قاتلوا فيها قتالاً شديداً، فأصابهم التعب من ذلك، ولم يعيِّن أحداً للحراسة، وليس مِن الفطنة والتدبير أن يكون جيش المسلمين بلا حراسة. فقام رضي الله عنه مع شخصين يحرسون المسلمين، ويدورون عليهم. وكان كلَّما ذَكَرَ الله تعالى فقال: لا إلٰه إلا الله، قالا: محمَّد رسول الله. فلقيا أثناء الحراسة فارسَين، فاقتربَ منهما، فإذا هُما الزُّبَيْر بن العوَّام وزوجته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فسلَّم عليهما، وقال: يا ابن عمَّة رسول الله ﷺ، ما الذي أَخرَجَكُما؟ قال الزُّبَيْر: نَحرُسُ المسلمين. وذلك أنَّ أسماءَ قالت (لزوجها الزبير بن العوَّام) : إنَّ المسلمين منشغلون بأنفسهم في هذه الليلة عن الحَرْسِ بما أصابهم من التَّعب في الجهاد طوال يومهم، فهل لك أن تُساعدَني على حَرْسِ (حراسة) المسلمين؟ فأَجَبْتُها إلى ذلك، فشكرهما أبو عبيدة، وعَزَمَ عليهما أن يَرجِعا، فلم يَرجِعا، وبَقِيَا يحرسان إلى الصباح.

■ أبو عبيدة قائد فتوح الشام

سار أبو عبيدة بجيشه إلى الشام لفتحها فحاصر دمشق سبعين ليلة، وكان على مقدِّمة جيشه خالد بن الوليد.

أثناء الحصار، سمع خالد ذات ليلة جَلَبَة، فأرسل يَستَعلِم الخبر، فأُخبر أنه وُلِدَ لبَطْريقِ المدينة وَلَدٌ. فصَنَعَ وليمةً، وسَكِرَ فيها الجُندُ سُكراً شديداً، فاتَّخَذَ خالد حبالاً على هيئة سلالم وتَسوَّر مع فرقة سور المدينة، وقال لمن معه: «إذا سمعتُم تَكبيرَنَا على السُّور، فاقصُدوا الأبواب». ولمَّا وصلوا الباب، وفتحوه، وكبَّروا، دخل الجيش المدينة. فصحا الناس من سُكرهم على صوت التكبير، وجاء أهلُها إلى أبي عبيدة يطلبون الأمان، فأمَّنهم.

لمَّا فرغ أبو عبيدة من دمشق، توجَّه إلى حِمْص، فسلك طريقَ بعلبك، فحاصرها، فطلب أهل بعلبك الأمان منهم، وصالحهم. ووصل إلى حِمْص، فحاصرها، فاستنجد أهلُها بهرقل، فوعدهم بالمَدَد. وطال انتظارهم، فلم يأت. وكان أهلُها يقاتلون المسلمين في الأيام الباردة؛ فَلَقِيَ المسلمون برداً شديداً، ولَقِيَ الروم حصاراً طويلا. فصبر المسلمون. وكان أهل حمص من الروم، يقولون لبعضهم البعض: « تمسَّكوا بمدينتكم، فإنَّهم حُفاة، فإذا أصابهم البرد تَقَطَّعت أقدامُهم ». فكانت أقدام الروم تسقط، ولا يسقط للمسلمين أصبع. ثم صالح أبو عبيدة أهلَ حمص، وولَّى عليها عُبادة بن الصَّامِت.

وسار أبو عبيدة إلى حماة، فتلقَّاه أهلُها مُذعنين، فصالَحُهم

وصالحوه. ومضى إلى شَيْزَر، فصالَحَه أهلُها. وسار إلى معرَّة حمص ـ والتي سُمِّيت بعد ذلك «معرَّة النعمان» نسبةً إلى النعمان بن بشير الأنصاري ﷺ ـ فصالح أهلها.

وأتى اللاذقية، فقاتَلَه أهلُها وفتحها. وكذلك فتح بانياس، وسلميَّة. ووَجَّه أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنِّسرين، فتحصَّنوا منه، فقال لهم خالد: «لو كنتم في السَّحَاب لحمَلَنا الله إليكم، أو لأَنْزَلَكُم إلينا». فنظروا في أَمرِهم، ورأَوا ما لَقِيَ أهل حمص، فصالحوهم.

وفتح أبو عبيدة حلب، وأنطاكية، وتل عزاز، ومَنْبِج. وفُتحت بلاد الشام من جهتهم هناك إلى نهر الفرات.

خصائصه

■ أنه أمين هذه الأمة

عَن أبي قِلابةَ عن أنسٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمينٌ، وأمينُ هذهِ الأُمَّةِ أَبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاح» (٤١٢١ البخاري، ١٥٩٢/٤).

عن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ لأَهلِ نَجْران: «لأَبعَثَنَّ ـ يَعني عَلَيْكُم ـ أمينًا حَقَّ أمينٍ»، فَأَشرفَ أصحابُه، فَبَعَثَ أَبا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه. (٣٥٣٥ البخاري، ١٣٦٩/٣).

■ كان ﷺ يُدْعَى: «القوي، الأمين»

الأمين هو الثقة المَرْضي، وهذه الصفة كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة الكرام. ولكن أبا عبيدة ﷺ زاد عن غيره في هذه

الصفة الكريمة (صفة القوي)، فلذا خصَّه النبي ﷺ بها، كما خصَّ بعض الصحابة بوصفٍ خاص كالحياء لعثمان، والقَضَاء لعلي.

■ كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ

عن عبد الله بن شقيق قال: سأَلتُ عائشَةَ أَيُّ أَصحابِ رسول الله ﷺ كانَ أَحَبَّ إليه، قالَت: أبو بكر، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ أَبو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاح. قُلْتُ: ثُمَّ مَن؟ فَسَكَتَت» (٨١٤٤ سنن النسائي الكبرى، ٧/ ٣٣٠).

■ ثناء أبي بكر رضي الله عنه عليه

كانت طوائف من العرب تأتي إلى أبي بكر رضي الله عنه في خلافته للجهاد، فيُخيِّرهم بين أُمراء الجيوش مع أي أمير أحبوا؟ فإذا قالوا له: إختر لنا يا خليفة رسول الله، قال لهم: «عليكم بالهيِّن الليِّن، الذي إذا ظُلم لم يَظلِم، وإذا أُسيئ إليه غَفَر، وإذا قُطِعَ وَصَل، رحيمٌ بالمؤمنين، شديدٌ على الكافرين؛ عليكم بأبي عبيدة بن الجراح».

■ ثناء عمر رضي الله عنه عليه

عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: « تَمَنَّوا ». فقال بعضهم: « أتمنَّى لو أنَّ هذه الدار مملوءةٌ ذهباً أُنفقه في سبيل الله وأتصدَّق». وقال رجل: «أتمنَّى لو أنها مملوءة زَبَرْجَداً وجوهراً فأُنفقه في سبيل الله وأَتصدَّق»، ثم قال عمر: «تَمَنَّوا» فقالوا: «ما ندري يا أمير المؤمنين؟» فقال عمر: «أتمنَّى لو أنها مملوءةٌ رجالاً مِثْلَ أبي عبيدة بن الجراح»

(٥٠٠٥ المستدرك، ٣/ ٢٥٢).

■ ثناء الصحابة عليه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «ثلاثةٌ من قريش أَصْبَحُ[١] قريشٍ وُجُوهاً، وأَحسنُها أخلاقاً، وأَثْبَتُها حَيَاءً، إن حدَّثوكَ لم يَكْذِبُوك، وإن حدَّثْتَهُم لم يُكذِّبوك : أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفَّان رضي الله عنهم» (١٦ المعجم الكبير، ٥٦/١).

■ كان عمر ﷺ يكره مخالفته

خرج عمر ﷺ إلى الشام، ولمَّا اقترب منها أُخبر بوجود وباءٍ فيها. فاستشار أصحابَه، فاختلفوا. ورأى عمر أن يرجعوا. فجاءه أبو عبيدة وقال له: «أفِراراً من قَدَرِ الله ؟» قال له عمر: « لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدة!» لأنَّه كان يَكْرَهُ أن يُخَالِفَ أبا عبيدة في أَمْرٍ. وقال له: «نعم، نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله». ثم قال له: «أرأيتَ لو كَانَت لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عِدْوَتَانِ[٢] إحداهُمَا خَصْبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَة، أَلَيْسَ إن رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله، وإن رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله ». فاقْتَنَعَ أبو عبيدة ﷺ.

من فضائله

شهد أبو عبيدة مع النبي ﷺ بدراً وهو ابن إحدى وأربعين سنة، وشهد ما بعدها من المشاهد، وشهد بيعة الرضوان. وكان ممَّن ثبت معه يوم أُحُد.

كان يسيرُ في عسكر الجيش ويَعِظُ قائلاً: «أَلاَ رُبَّ مُبَيِّضٍ لِثِيَابِهِ

(١) أصبح: أجمل.

(٢) العِدوة: جانب الوادي.

مُدَنِّسٍ لِدِينِهِ ، أَلاَ رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وهُوَ لَهَا مُهِينٌ ، إِلاَّ بَادِرُوا السَّيِّئَاتِ القَدِيمَاتِ بِالحَسَنَاتِ الحَدِيثَاتِ، فإنَّ أَحَدَكُم لَو أَسَاءَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرض، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً لَغَلَبَتْ سَيِّئَاتِهِ حَتَّى تُقْهِرَهُنَّ » (٣٥٧٦٤ مصنف ابن أبي شيبة، ١٣/٣٢١).

عَن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ : « نِعْمَ الرَّجُلُ أبو بَكْر، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَر، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاح » (٣٧٩٥ سنن الترمذي، ٥/٦٦٦).

زهده في الدنيا

لمَّا وصل عمر بن الخطاب إلى بلاد الشام، استقبله أُمراء الجند وشيوخ القبائل ووجوه الناس. فقال عمر: «أين أخي؟» قالوا: «من؟» قال: «أبو عبيدة». قالوا: «سيأتيكَ الآن». فجاء أبو عبيدة، فعانقه. فقال له عمر: «إذهب بنا إلى بيتك». فقال أبو عبيدة: «ستَعصِرُ عينيكَ عليَّ يا أميرَ المؤمنين». فدخل عليه بيتَه، فلم يَرَ في البيت إلا قطعةً مِن لبد (أي صوف)، ووعاءً للأكل، وكيسَ جلدٍ للماء. قال له عمر: «عندك طعام؟» فقام إلى ناحية، وأتى بكُسَيْرات خبز. فبكى عمر وقال: «وأنت أميرٌ، وهذا عَيْشُك! غرَّتنا الدنيا كلَّنا، إلا أنت يا أبا عبيدة». فقال أبو عبيدة: «يكفيك من الزَّاد ما يُبَلِّغُكَ المَقيل».

خوفه من الله عز وجل

ثم تمر الأيام، وتأتي الفتوح، وتكثر الأموال، فيُصيبُ منها أبو عبيدة كما أصابَ غيرَه.

عن مولى عبدِ اللَّه بن عامرٍ عن أبي عُبَيدَةَ بن الجَرَّاح قال: «ذَكَرَ مَن دخلَ عليه فَوجدَهُ يبكي، فقال: ما يُبكيكَ يا أبا عُبَيدَة؟»

فقال: «نبكي أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ ذَكَرَ يَوْمًا ما يَفْتَحُ الله على المُسلمينَ ويُفيءُ عليهم، حتَّى ذَكَرَ الشَّامَ فقال: « إن يُنْسَأ في أَجَلِكَ يا أبا عُبَيدَةَ فَحَسْبُكَ مِن الخَدَمِ ثلاثَة: خادِمٌ يَخْدُمُكَ، وخادِمٌ يُسافرُ مَعَك، وخادِمٌ يَخدُمُ أَهْلَكَ ويَرُدُّ عليهم. وحَسْبُكَ مِنَ الدَّوابِّ ثَلاثَة: دابَّةٌ لِرَحْلِكَ، ودابَّةٌ لِثَقَلِك، ودابَّةٌ لغُلامِك». ثُمَّ هذا أنا، أنظُرُ إلى بيتي قَد امتَلأَ رقيقًا، وأنظُرُ إلى مِربَطي قد امتَلأَ دوابَّ وخَيْلًا، فكيف أَلْقَى رسولَ اللَّه ﷺ بَعْدَ هذا؟ وقد أَوْصانا رسولُ اللَّه ﷺ : «إنَّ أَحَبَّكُم إلَيَّ وأقرَبَكُمْ مِنِّي مَن لَقِيَني على مِثْلِ الحالِ الَّذي فارَقَني عليه» (١٦٩٥ مسند أحمد، ٣/٢٤٢).

تواضعه وإنصافه لرعيَّته

روى أبو حذيفة في « فتوح الشام » أنَّ الروم بعثوا إلى أبي عبيدة: «إنَّا نريدُ أن نبعث إليك رجلاً منَّا يعرض عليك الصلح ويدعوك إلى النصف، فإن قبلت منه فلعل ذلك أن يكون خيراً لك ولنا، وإن أبيت فما نراه إلا شراً لك».

فقال لهم: «ابعثوا مَن شئتم». فبعثوا رجلاً طويلاً أحمر أزرق. فجاء، فلمَّا دنا من المسلمين، لم يَعرف أبا عبيدة مَنِ القوم، ولم يَدرِ أَهُوَ فيهم أم لا؟ ولم يَرَ هَيْبَة مكان أميرٍ من الأمراء. فقال: « يا معشر العرب، أين أميرُكم؟».

فقالوا له: «ها هو ذا». فنظر، فإذا هو بأبي عبيدة جالساً، عليه

الدرع، وهو مُمْسِكٌ الفرس، وبيده أسهم يقلِّبها وهو جالسٌ على الأرض. فقال له: «أنت أميرُ هؤلاء؟».

قال: «نعم». قال: «ما يُجلِسُكَ على الأرض؟، أرأيتَ إن كنت جالساً على وسادة أو كان تحتك بساط أكان ذلك واضِعُكَ [١] عند الله، أو هل يُبعِدُكَ من الإحسان؟»

قال له أبو عبيدة:

«إن الله لا يستحي من الحق، لأصدُقَنَّكَ: ما أصبحتُ أَملكُ إلا سيفي وفرسي وسلاحي، ولقد احتجتُ أمس إلى نفقة، فاقترضت من أخي هذا شيئاً ـ يعني معاذ بن جبل ـ، وكان عنده شيء فاقترض، ولو كان عندي بساطٌ أو وسادة ما كنت لأجلسَ عليه، وأُجلِسَ أخي المسلم ـ الذي لا أدري لعلَّه خيرٌ مني منزلةً عند الله عز وجل ـ على الأرض، ونحن عبادَ الله، نمشي على الأرض ونجلس عليها ونضجع عليها، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً، بل تَعظُم به أُجورُنا وتُرفع درجاتنا، فهلمَّ حاجتك التي جئتَ لها».

عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون الذي وقع بالشام إنه: «قد عرضَت حاجة عندنا ولا غنى فيها عنك، فإذا أتاك كتابي هذا فإني أعزمُ عليك إن أتاك كتابي ليلاً أن لا تُصبح حتى تركبَ إليَّ».

فلما قرأ الكتاب قال: «قد عرفتُ حاجةَ أمير المؤمنين، إنه يريد

(١) واضعُك: منقصٌ قَدرَك.

أن يستَبْقيَ من ليس بباقٍ»، ثم كتب: «فإني قد عرفتُ حاجتَكَ التي لك، فخَلِّني مِن عَزْمَتِكَ[١] يا أمير المؤمنين، فإني في جُندٍ من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم». فلما قرأ عمر الكتاب، بكى، فقيل له: «مات أبو عبيدة؟»، قال: «لا». وكان قد كتب إليه عمر أنَّ الأردن أرضٌ غمقة[٢] وأنَّ الجابية[٣] أرض نزهة[٤]، فاظهَر بالمسلمين إلى الجابية. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: « هذا نسمعُ فيه أميرَ المؤمنين ونُطيعُه».

إهتمامه حين استنهضه عمر عام القحط

روي أنَّ الناس قحطوا في خلافة عمر، فكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو يومئذ بالشام: «الغَوْثَ الغَوْثَ، أَدرِكِ المسلمين». فكتب إليه أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، كتبتَ إلي: «الغوث الغوث»، وقد أَتَتك العير، أوَّلها عندَك وآخرها بالشام». فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام.

وفاته

في العام الثامن من الهجرة نزل وباء الطاعون في بلاد الشام، وكان أبو عبيدة فيها مُعافى منه وأهلُه، فدعا الله تعالى أن يُصيبَه ما أصاب غيره فقال: «اللهم، نصيبَك في آل أبي عبيدة»؛ لأنه علم أنَّ الطاعونَ إذا نزل في المسلم فهو شهادة.

---

(١) خلِّني مِن عزمتك: أي اعفني ممَّا عَزَمْتَ عليَّ أن أفعلَه.

(٢) الغمق: فساد الهواء.

(٣) الجابية: قرية بدمشق.

(٤) النزهة: البعيدة عن الماء، وتكون أقل وباءً لذلك.

عَن أنس بن مالك ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «الطَّاعونُ شَهادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِم» (٢٦٧٥ صحيح البخاري، ١٠٤١/٣). فخرجَت بأبي عبيدة في خنصره بثرة، فجعل ينظر إليها، فقيل له: «ليست بشيء ذي أهمية». فقال: «إني لأرجو أن يبارك الله فيها، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً». فأصابه الطَّاعون، ومات به. وكان عمره ثمان وخمسون سنة. ولمَّا أصابه الطاعون كان معاذ بن جبل ﷺ معه في الشام. فقال: «يا معاذ، صَلِّ بالناس»، فصلَّى بهم معاذ. ثم مات أبو عبيدة، فخطب معاذ فقال في خطبته: «وإنكم فُجِعتُم برجلٍ ما أزعُمُ والله أني رأيتُ مِن عباد الله قَطُّ أقلَّ حقدا، ولا أَبَرَّ صدراً، ولا أَبْعَدَ من الغائلة، ولا أشد حبًّا للعامة، ولا أنصحَ منه، فترحَّموا عليه». رضي الله تعالى عن أبي عبيدة ورزقَنا أمثالَه ووفَّقنا للإقتداء به.

وصيته للمسلمين

عن سعيد بن المسيّب رحمه الله قال: لمَّا طُعِنَ[١] أبو عبيدة بالأردن، دعا مَن حضره من المسلمين، وقال: «إني مُوصِيكُم بوصيَّةٍ إن قَبِلْتُموها لن تزالوا بخير: أَقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدَّقوا، وحجُّوا، واعتَمروا، وتواصَوا ، وانصَحوا لأُمرائكم ولا تغشُّوهم ، ولا تُلهِكُم الدنيا؛ فإن امرأً لو عَمَّرَ أَلْفَ حَوْلٍ[٢] ما كان له بدٌّ مِن أن يصيرَ إلى مَصْرَعي، فأَكيَسُهم أَطوَعُهم لربِّه، وأَعلمُهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله».

(١) أُصيب بالطاعون.

(٢) حَوْل: سَنَة.

وصيّة أبو عبيدة بن الجراح ﷺ للمسلمين

« إني مُوصيكُم بوصيَّةٍ إن قَبِلْتُموها لن تزالوا بخير:

أَقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدَّقوا،

وحجُّوا ، واعتَمِروا، وتَواصَوا ، وانصَحوا لأُمرائكم

ولا تغشُّوهم ، ولا تُلهِكُم الدنيا ؛ فإنَّ امرأً لو عَمَّرَ

أَلْفَ حَوْلٍ ما كان له بدٌّ من أن يصيرَ إلى مَصْرَعي،

فأَكْيَسُهُم أَطوَعُهُم لربِّه، وأَعلمُهُم ليوم معادِه،

والسَّلام عليكم ورحمة الله »

إن مطبوعات (العباد) مرخصة بالقرار رقم «٥٣»
تاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٧٩ الصادر عن وزارة الاعلام
الناشر: جماعة عباد الرحمن ـ بيروت
ص.ب. ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
هاتف: ٨٩ / ٦٥٤٠٨٨ / ٠١
الموقع الإلكتروني: www.ibad.org.lb
البريد الإلكتروني: central@ibad.org.lb